لغز

شبح الليمون

سلسلة قصص " هنا بيتي "

قصص بوليسية للناشئين

المؤلّفة : ليدي نوراي

شبح الليمون

العدد الأول من سلسلة

"بيتي هنا"

جميع الحقوق محفوظة

١٩٩٠

في إحدى أحياء دمشق الحبيبة

شكر وعرفان

لكل قارئ ما زال يبحث عن

قيمة في قراءته

دَخلَت المرأة إلى غرفة ابنها الشابّ ؛ فَتَحتْ الستائر وصاحت : استيقظ !

تململ زيان دون أن يفتح عينيه مظهراً تكشيرة التقطتها الأم بنظرة امتعاض وقال : يا ربّي ! لما عليّ السفر ؟

قالت الأم وهي تفتح النافذة : لقد تكلّمنا حول ذلك كثيراً .

زيّان: إذن فلتذهبْ وحدَها.

زادت الأمّ من حدّة صوتها وقالت:

ـ ماذا تقول؟! هل ستَدَع أختَك الصغيرة تسافر بمفردها! وإلى قارّةٍ أخرى!

تململ زيّان وقال بضجر:

ـ أُفّ.

تنهدت الأمّ وقالت:

ـ ما دمتَ تملك الطاقة لتتكلم وتناقش، فهَيّا انهض. سيوصلكما والدُك حتى المطار، ثم تودعانه عند إقلاع الطائرة، وأنتَ معها... أكرّر: تقلع الطائرة وأنت فيها.

نهض زيّان كمن ينهض من كابوسٍ تمنّى بُطلانه، وقال:
ـ اطمئني، لقد سحبتُ أوراقي من الجامعة بعد معاناة، لم يَعُد هناك مجالٌ للتراجع.

خرجتِ الأمّ من الغرفة متّجهةً إلى غرفةِ ابنتها، ففتحت البابَ ذي اللونِ الكُستنائيّ بعد ثلاثِ دقّاتٍ متناسقة، فوجدت ابنتها جاهزةَ المظهر، تتفقّد أغراضها للمرّة الثالثة هذا الصباح.

شردتِ الأمّ بابنتها قليلًا، ثم قالت بحزنٍ خفيف:
ـ لقد وافقتُ، لكنّني الآن أشعر بالندم على ذلك.

أجابت ليلى من دون أن تُشيحَ بنظرها عن حقيبتها:
ـ ولِمَ النّدم؟ أنا مرتبكةٌ جدًّا، لكنّني لستُ نادمة.

عانقت الأمّ ليلى وقالت بحنان:
ـ سأشتاق إليكِ يا حبيبتي.

بعد لحظاتٍ، فَكّت الأمّ العِناق وراحت تتفقّد زوجها، الذي كان على قدرِ مسؤوليةِ البالغين ـ على الأقل هذا الصباح- .

صاحت الأمّ:
ـ إنّها الثامنة! يجب أن تُسرعوا، فستُقلع الطائرة في التاسعة والنصف!

وقبل أن يخرج الثلاثة من باب الدار، وجّهت الأمّ كلماتها إلى ابنيها:
ـ أرجو أن تقضيا وقتًا جميلًا في دمشق. زيّان، انتبهْ لأختك ليلى، وليلى اسمعي كلامَ أخيك الأكبر.

زيّان وليلى معًا:
ـ نعم.

عادَت تاليا من كليّتها؛ كان يومها الأوّل. رأت أنّ كليّة الآداب كانت راقية كما أُخبِرَت، وكانت أفضل من غيرها بالتأكيد.
فهل ينتقل الحسّ الأدبي من الكيان الحسّي القابع داخل الطلّاب إلى أطراف المباني؟
خاصّة مع تلك النباتات التي بدت غضّة ومنسّقة؛ لقد بدت الورود سعيدة، وكان من الصعب أن ترى هذا الاهتمام ما لم تكن الجامعة خاصّة.
"ما زال هناك أمل"، همست تاليا لنفسها.

"كيف كان يومك؟" سألت الأم، فخورة برؤية ابنتها وقد كبرت.

"رائع، أحتاج إلى الاعتياد على النظام الجامعي فقط." أجابت تاليا، ثم أكملت بعد برهة: "متى سيصل صديق إيليا؟"

"ساعة أو ساعتين على الأكثر."

صعدت تاليا إلى الطابق الثاني قاصدةً غرفتها، لكن ما إن وضعت يدها على مقبض الباب حتى سمعت ضحكاتٍ خرجت من الغرفة المجاورة، فاتّجهت إليها وفتحت الباب قائلة:
"ألم يكن لديكما شيء مفيد تفعلانه خارج المنزل اليوم؟"

أجابتها جوليا وهي تهدّئ من ضحكتها: "لا."

تاليا: "مثل كل يوم."

ثم رفعت جوليا يدها لتشير لتاليا بالجلوس بجانب سارة: "تعالي، لدينا خبر مثير."

امتثلت تاليا، وقد لمعت في عينيها لمعة دهشةٍ وفضول.
سارة تضحك وتجد أمراً ما مثيرًا؟ لا بدّ أنه خبر مدهش إذن.

"إذن، ما هو الخبر المثير؟" قالت تاليا بفضول.

ردّت جوليا بشيء من الجديّة الساخرة: "هناك شبح في متجر جارنا حسن."

حدّقت تاليا في وجه جوليا بضع لحظات لعلّها تستخلص مدى جديّتها، ثمّ نقلت نظرها إلى وجه سارة التي كانت تطالع كتابًا، هاربةً من الاستجواب الصامت.

نطقت تاليا بكلمة واحدة، بنبرة نصف استنكار: "حقًا؟"

قالت جوليا بشيء من المرح: "هو مكتوب في الجريدة، تفضّلي."

مدّت جوليا يدها بحماس.

التقطتها تاليا بفضول؛ ها هو الخبر! بعنوان: دكّانة "حسن كركُب" والظاهرة العجيبة.
ثم بخط أصغر:

لاحظ السيد حسن كركُب تناقص كمية الليمون؛ كان النقص اليومي طفيفًا، وقدّره بنقصان ليمونة واحدة يوميًا.
هل هي عملية سرقة؟ يجزم السيد حسن أنه داوم على المراقبة المستمرة، وقد عدّ عدد ثمار الليمون واستنتج أنه يترك الليمون بعددٍ معيّن قبل أن يُغلق الدكّان، ثمّ بعد أن يفتحه تكون ناقصة ليمونة واحدة!
هل هو شبح؟
لمتابعة مستجدّات القصة، اشتروا من الأعداد القادمة.

"هذه أغرب عملية سرقة سمعت عنها في حياتي!" قالت تاليا ساخرة.

"لا أحد قال إنه إنسان!" ردّت جوليا.

رفعت سارة عينيها أخيرًا عن صفحات الكتاب لتنظر نحو الجريدة وتجيب ببرودٍ لا يخلو من الاهتمام:
"كفّي عن التخريف يا جوليا."

ردّت جوليا: "ومن هذا الذي يسرق ليمونة كل يوم؟ وليس خلال اليوم بل في الليل! أكيد لو كان إنسانًا يُسطو على الدكّان كل ليلة، لكانوا كشفوه بسرعة! ثم من هذا الذي يسطو على دكّان من أجل ليمونة؟"

فكّرت سارة قليلًا لتجيب: "ربما أنتِ محقّة، ربما هو ليس إنسانًا بل حيوان اعتاد التسلّل وأخذ الليمون."

جوليا باستنكار: "وهل هناك حيوانات تتغذّى على الليمون؟"

سارة بشيء من الريب: "إذا لم يكن إنسانًا، فهذا التفسير المنطقي الوحيد."

ردّت جوليا: "وربما شبح!"

سارة: "هذا بعيد عن المنطق."

تاليا بعد تفكير: "وربما هي قصة من وحي الخيال لزيادة شهرة الدكّان."

ردّت جوليا مدافعة: "إيّاكِ أن تتّهمي العم حسن!"

داخل السيارة البيضاء تداخلت أجواء مختلفة؛ ما بين شوق ما قبل الوداع والتطلّع إلى المستقبل.

كسرت ليلى الصمت قائلة:
"أبي، متى سنصل إلى المطار؟"

أجاب الأب دون أن يخسر أدنى درجة من تركيزه على طريق المطار الصعب:
"لقد ركبتِ منذ عشر دقائق، ما زال الوقت مبكّرًا."

قالت ليلى وهي تفرك يديها ببطء:
"أنا متوتّرة قليلًا، سوف نزور خالتي التي لم نرها أبدًا؛ من يعلم أيّ نوع من الأشخاص هي؟"

تثاءب زيان وقال بلامبالاة:
"هي خالتكِ، وليست زوجة أبيكِ."

تجاهلت ليلى جواب أخيها، فأجاب والدها محاولًا أن يطمئنها:
"أنتِ لن تمكثي في بيت خالتكِ، بل في المدرسة الداخلية."

صاحت ليلى بارتباك:
"هذا يُربكني أكثر!"

أضاف زيان وهو يتنهّد:
"أصلًا نحن لن نسكن عند خالتنا؛ بيتها صغير وممتلئ. أنتِ ستمكثين في المدرسة الداخلية، أمّا أنا فسأستأجر عند أحد أصدقائي."

"إلى أين؟" قال إيليا بشبح ابتسامة ساخرة.

"معك بالتأكيد." ردّت تاليا بثقة.

"أنا ذاهب لاستقبال صديقي؛ فما شأنك أنتِ؟"

"عمّ تتحدث؟ يجب أن أرى أيّ نوع من الأشخاص ستُحضر إلى البيت! ألا يكفي أن الطابق الأرضي أصبح بالكامل محجوزًا ومؤجَّرًا؟"

"والداكِ هما من يبحثان عن مستأجرين أصلًا."

"نسيت كلمة انتقاء؛ يبحثان ب "انتقاء." أجابت تاليا فورًا.

"لقد تم الاتفاق على كلّ حال." تابع إيليا الجولة بكلمات حاسمة.

"أتريد الزبدة؟ أريد الذهاب! هذا ليس عدلًا، كل من في هذا البيت - من والديّ وجوليا وسارة - ذهبوا إلى المطار إلا أنا. أريد الذهاب! ثم إنك ألم تقل إنه سيأتي برفقة أخته؟ أريد التعرّف عليها!"

ردّ إيليا بعد تنهيدة:
"حسنًا، حسنًا... أسرعي إذن."

دُقَّ بابُ ذلك المنزل العريق ذي الطوابق الثلاثة؛ ففتحت سيّدة المنزل الباب متوقّعة الفاعل، ولم يَخِبْ توقّعها.

"أشمّ رائحة الطعام! أنا جائعة جدًّا!" قالت تاليا وكأنها وصلت من الصحراء.

"قلتُ لكِ إنّ وجودكِ لم يكن ضروريًّا." أعقب إيليا بشماتة.

"مرحبًا، سيّدتي !" برز صوت خجول.

"أهلًا وسهلًا، أنت زيان، صحيح؟ تفضّلوا بالدخول." قالت أمّ تاليا بابتسامة مضيافة.

ارتمت تاليا على الأريكة، ثم جلس إيليا وزيان على الأريكة المقابلة.

صاحت أمّ تاليا:
"جوليا! سارة! تعاليا!"

ثم وجّهت حديثها إلى تاليا وإيليا:
"تستطيعان أن تُعرّفاه على المنزل، سأَنشغل بإعداد الطعام."

ثم خرجت الأم.

قال زيان باستغراب:
"أهذه السيدة خالتك؟"

أجاب إيليا:
"هي تكون ابنة خالة أمي... وبالتالي تاليا تكون ابنة ابنة خالة أمي."

رفع زيان حاجباً وهمهم دون تعليق.

هبطت جوليا بمرحٍ من السلالم، وتبعتها سارة ببطءٍ نسبيًّا.

جالت عينا جوليا بين الحاضرين، ثم تساءلت باستغراب: "أين الفتاة؟"

أجابها إيليا ساخرًا: "قلتُ إنني سأحضر صديقًا، وليس صديقة."

قالت سارة موضِّحة ببرود، وهي توجّه نظرها إلى إيليا: "يبدو أنها تقصد شقيقتك."

أجاب زيان بلطف: "آه، لقد أوصلتها إلى مدرستها، وستبقى هناك."

ردّت جوليا بفضول: "دراستها؟ أجل. وماذا تدرس أنت؟"

عدّل زيان وضعيّة نظارته، ثم أجاب بعد برهة: "سنة أولى طبّ."

هتفت جوليا بمرح: "رائع! هذه أول مرة أرى فيها طالبَ طبّ عن قُرب!"

وضعت سارة يدها على كتف جوليا وهمست: "هذا يكفي."

أُحرِجت جوليا ثم تابعت: "أنا جوليا، لبنانيّة، أدرس الأدب الإنجليزي هنا."

"سررتُ بمعرفتك."

"سارة، أدرس علم النَّفس."

"مثير للإهتمام."

"تاليا، أدرس علم الآثار."

"أعرف، لقد أخبرتني منذ قليل في سيارة الأجرة قبل أن نصل." ردّ زيان.

"أردتُ أن أشارك." أجابت تاليا بشيءٍ من الاحتجاج.

ثم سمعوا صوتَ طرقٍ على الباب، فغادرتهم تاليا لترى هويّة الطارق.
فتحت الباب فوجدت شابًّا في أوائل العشرينات يمسك ببضعة أكياس.

"أوه!" – تأوّهت تاليا.

"هذه لكم"، قال الشاب.

شكرت تاليا عامل البقالة ثم قالت، محاولةً استخراج معلومة منه:
"لقد سمعتُ ما حدث لبقالتكم... هذا يؤسفني."

"ما يُقال محضُ مبالغات"، ردّ الشاب بعد أن قلب عينيه بمزاجيّة.

تأفّفت تاليا داخليًا، كاظمةً غيظها، محافظةً على ملامحها المنبسطة:
"يسرّني معرفة أنه ليس هناك شبح... يا صلاح."

سكت صلاح قليلاً، ثم استدار ليغادر.

صاحت تاليا: "نسيتَ المال!"

"أعطوني إياه في المرّة القادمة بعدما آتيكم بالبقالة"، قال بلا اكتراث.

"يا له من متبجّح!" تمتمت تاليا بعدما أغلقت الباب.

أوصلت البقالة إلى المطبخ، ثم عادت إلى غرفة المعيشة قائلة:
"هل فاتني شيء؟"

قال زيان: "نتحدّث عن الهوايات، ماذا تحبّين يا تاليا؟"

أجابت تاليا بمرح كما لو كان سؤالها المفضّل:
"حسنًا، أنا أحبّ الكثير من الأشياء، على رأس القائمة لدينا القراءة والعزف على القيثارة."

قالت جوليا: "كما أخبرتك، هذا كلّه غير مهم!"

ردّ زيان باستغراب: "إذن ما هو المهم؟"

قالت جوليا بفخر: "الرياضة بالطبع! سأعلّمك بعض حركات الكاراتيه!"

قال زيان: "لقد كان شطرنج سارة وألغازها سيئًا بما فيه الكفاية... لكن أعتقد أنّني أفضّلها الآن."

قال إيليا ساخرًا: "لا يبدو أنّك تحبّ شيئًا."

ردّ زيان وقد أنزل عينيه إلى الأرض محدّقًا بالسجادة الحمراء الصغيرة:
"عدا الطب... ربما فعلاً لا أحبّ شيئًا. حتى الطب لست متأكّدًا أنني أخترته حقًا... ربما درجاتي هنّ من اخترنه."

عمّ الصمت برهة، لم يُكسر إلا بصوت السيدة سوسن وهي تقول:
"الغداء جاهز!"

...

طوّق الأصدقاء الطاولة التي علتها عدّة أصناف من الطعام؛ كان الجوع الذي شعر به زيان بعد تعبٍ وسفرٍ يجعله يرى كل شيء أشهى مما هو عليه. كانت تاليا هي أوّل من مدّت يدها إلى صحنها؛ ابتلعت اللقمة الأولى لتسأل فجأة: "ألن يأتي والدي اليوم أيضًا؟"

كانت سوسن تغسل الأطباق، فردّت دون أن ترفع عينيها عنهم: "كلا، لديه غداء في الخارج."

علّقت جوليا: "لو كنتُ محلّه لأُصبتُ بالغثيان من تناول طعام المطاعم بهذه الكثرة... إنّه جانب سلبي من اجتماعات العمل."

همست سارة بصوت ساخر بالكاد يكون مسموعًا: "لا تقلقي، لن تكوني محلّه."

جوليا باستنكار: "كأنني سمعت شيئًا."

تلت هذه العبارة قهقهات مكتومة. قطع زيان الجو المشحون قائلًا: "إنّه يعمل تاجرَ سيارات، حسب ما سمعت من أمي، صحيح؟"
ردّت سوسن: "أجل، هو كذلك."

قال إيليا بفخر: "أستطيع أن أعرف نوع السيارة من نظرة واحدة."

"مدهش!" ردّت جوليا.

"زيان، ما رأيك أن نصطحبك في جولةٍ بالشام؟ إنها جميلة"، اقترحت سارة فجأة، ويبدو أن فكرة أعجبتها خطرت ببالها للتو.

"تريدين لعب دور المرشد السياحي؟" علّقت جوليا وهي تقلب عينيها.

"أرى أنها فكرة ممتعة"، ردّت تاليا.

سخر إيليا: "قد جاء منذ قليل من سفر، والآن تريدنه أن يخرج في جولةٍ سياحية؟ لقد ملأنا بطوننا لنرتاح ثم ننام."

ردّت سارة بسرعة: "أنت قلتها، هو الذي عاد من السفر، فلمَ أنت ستنام؟" ثم أضافت بتهكّم: "هل أنتَ مسنّ؟"

ردّ إيليا بنبرة باردة، لكن مشحونة بالمزاح: "الذي يعيش معكم سيشيخ عقله قبل أوانه."

قطعت سوسن المشادّة الكلامية لتقول وهي تجفّف يديها المبتلّتين: "ما رأيكم أن تأخذوا رأي زيان بما أنه محور الموضوع؟"
كان في كلامها نبرة من الانزعاج من قلّة نضجهم، وشيء من التهكّم الذي يجيده كل من في البيت.

تحوّلت العيون إلى زيان، الذي بدوره ازداد توتّرًا، ثم قال: "أنا أرى... سأرتاح اليوم، لكنني شاكرٌ لحماسكم من أجلي."

أجاب إيليا منتصرًا: "قلتُ هذا."

انتهى الأصدقاء من الطعام، فنهضت تاليا لتقول بحماسٍ منضبط:
"تفضّلوا إلى غرفة الجلوس، سنُحضِر التحلية إلى هناك."
ثم غمزت لجوليا لتبقى معها؛ عرفت جوليا أنّها إشارة لتساعدها في تنظيف طاولة الإفطار وترتيب المطبخ.
وبغضون دقائق قليلة، كان كُلٌّ من زيان وسارة وإيليا جالسين على الأرائك في غرفة الجلوس يشاهدون التلفاز بنصف انتباه، بينما يتجاذبون بعض الأحاديث.

"هذه عائلة رائعة"، علّق زيان بنبرة دافئة.

ردّ إيليا: "عائلة؟ لا توجد عائلة هنا إلّا تاليا وأمّها وأبيها؛ أنا قريب بعيد، والبقيّة مستأجرون مثلهم مثلك."

وجّه زيان نظره نحو سارة: "أأنتِ وجوليا مستأجرتان؟"

أجابت سارة: "جوليا هي قريبة جار العائلة؛ جاءت من لبنان لتدرس هنا بتوصيته،
وأنا عائلتي مسافرة إلى الخليج، ولم أشأ أن أمكث في منزلي وحدي، فاستأجرت هنا.
على كلّ حال، كان المنزل متاحًا للإيجار."
سكتت قليلًا ثم أردفت بابتسامة خفيفة: "متاحاً للإيجار بانتقاء كما تقول تاليا."

علّق إيليا: "والأبهى من كلّ هذا أنّ ثلاثتهن — سارة وتاليا وجوليا — يدرسن في الكليّة نفسها."

سكت زيان قليلًا وكأنّه التقط شيئًا ثم قال:
"كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة؟"

"بالضبط"، ردّ إيليا.

دخلت تاليا حاملةً معها زبادي معبّأة بالمثلّجات بمذاقات مختلفة، ووراءها جوليا تتثاءب بملل.

"فقط المثلّجات هي الحلويات التي أشتهيها في أيلول"، علّقت تاليا بابتسامة ترحيبيّة جددتها لتقوم بواجب الضيافة.

"لا تقلق يا زيان، هناك المزيد من المثلّجات.
سنَسطو في الليل على البقيّة بما أنّ الطابق السفلي ملكنا!" قال إيليا بخبث.

"ملكنا؟" استغرب زيان.

"الطابق السفلي فيه غرفتان؛ إحداهما لك، والثانية لإيليا.
أما أنا والفتيات، فلدينا الطابق الثاني، ووالداي في الطابق الثالث." شرحت تاليا.

"لِنُنْهِ هذا ولننم، أنا متعبة.
كما أنه من الأفضل أن ننهض باكرًا من أجل النزهة." قالت جوليا وهي تتثاءب للمرة الرابعة.

"أخيرًا قلتِ شيئًا غير أبله"، علّقت سارة بصوتٍ بالكاد يُسمع.

كان الصباح مِن منتصف أيلول؛ معلّقاً بين قطرات الندى التي أطلّت من التسامي في الصباح. ومن قال إنّ بعض النبات لا يتعرّق مثل الكثير من جيرانه من الكائنات الحيّة؟ وكان أيضًا هذا الصباح هو الثالث بعد أوّل غيث غسل الأرصفة والطّرقات؛ وأطلّ بغيوم قطنيّة تتناوب في مواقع بعيدة في السماء.

"إذن لا يبدو أنّ المطر سيباغتنا." علّقت تاليا بعد أن شردت في أحوال الأرض والسماء.

"هل أعدُّ المزيد من الشطائر أم أنّكم ستتناولون شيئًا في الخارج؟" سألت الأم التي انشغلت بنزهة الأصدقاء بعدما انتهت من الانشغال بزوجها الذي غادر قبل ساعة.

"سنجلس في مقهى فقط." أجابت تاليا.

كان هذا الهدوء في المطبخ؛ ففي غرفة نوم جوليا الأمر مختلف.

"أنا محتارة .. ماذا أرتدي؟" قالت جوليا بانفعال بعدما قلبت خزانتها فعليًّا.

"إذا بقيتِ على هذه الحال لن نخرج حتى الظهيرة!" احتجّت سارة التي بدأ صبرها ينفد.

"لماذا لا تساعدينني بدل التذمّر؟"

"عمَّ تتحدثين؟ نحن هكذا منذ نصف ساعة."

"أتمنى لو أننا استطعنا اصطحاب ليلى." علّق زيان الذي شعر ببعض الذنب؛ هو يتنزّه في المدينة الجديدة بينما أخته الصغيرة عالقة في مبنى بنظام قاسٍ كما خمّن.

"لاحقًا أفضل؛ ننتهز عطلة نهاية أسبوع لنأخذها، لكن فلتستقرّ في الحي أولًا." ردّ إيليا.

"ألم تنتهِ الفتيات بعد؟ نحن ننتظر منذ ربع ساعة." علّق إيليا بضجر وهو ينظر إلى الساعة للمرة الخامسة.

دخلت تاليا وقالت: "الطعام جاهز."

"ماذا أحضرتِ معك؟" سأل إيليا.

"شطائر وشاي وبعض الحلويات وعصائر." أجابت تاليا بابتسامة واسعة.

هبطت جوليا بمرح تتبعها سارة التي بدا على وجهها الفرح بالخلاص من شيء ثقيل.

"أنا جاهزة!" صاحت جوليا بحماس.

...

بينما كانوا يسيرون، نظر زيان إلى سارة بفضول وسألها:
"لِمَ تحملين حقيبتين؟"

قبل أن تنطق سارة، علا صوت جوليا تَقَهْقَه لتقول بابتسامةٍ فيها نفسٌ ساخر:
"ألم تعلم أنها تحب أن تلعب دور الممرضة كما تحب لعب دور المرشد السياحي؟"

حدّق زيان في الأرض للحظات، ثم رفع رأسه بعدما استنتج:
"إذن هي حقيبة إسعافات أولية!"

هزّت سارة رأسها إيجاباً، وقد تجاهلت تهكمات جوليا؛ فقد وضعت أريحية النزهة أولوية على الثأر الطفولي بالردود.

"ما هذا المبنى؟" سأل زيان بفضول، وقد جالت عيناه بين زواياه.

"إنه قصر العظم، مثال للنموذج الدمشقي التقليدي للعمارة." أجابت سارة بصوت لا يُخفي سرورها بالأسئلة الثقافية، وعلى وجه الخصوص عندما تكون هي المجيبة.

"هو بناء قديم إذن." قال زيان.

"إنه قصر شُيّد في القرن الثامن عشر الميلادي. تبلغ مساحته الإجمالية ٦٤٠٠ مترٍ مربع، وقد بُني من قبل والي دمشق الوزير أسعد باشا العظم عام ١٧٤٩.
نمط بنائه وزخارفه في الحجر والرخام والخشب والمعدن تمثل صورة عن مباني دمشق في العهد العثماني."

علّق زيان بعد شرود:
"رائع."

اقترحت تاليا وقد وضعت شعرة انزلقت إلى خلف أذنها:
"هو أيضًا في النهاية الشمالية لسوق البزورية الذي نسير فيه. بما أننا وصلنا إلى هنا، فما رأيكم أن تكون وجهتنا التالية سوق الحميدية؟"

علّق إيليا بتململ:
"يا معين!"

"سوق الحميدية؟" رد زيان بنبرة تساؤلية.

انتهزت سارة فورًا الفرصة للكلام وقالت بصوت مفعم بالحيوية المنضبطة:
"سوق البزورية هو فرع من سوق الحميدية، الذي يتفرع أيضًا إلى أسواق أخرى مثل سوق الحرير وسوق العرائس وغيرها.
يبدأ سوق الحميدية عند نهاية شارع النصر مع شارع الثورة في منطقة الدرويشية، ويمتدّ لمسافة تقارب الميلين.
الجزء الأول منه يقع بجوار قلعة دمشق، وفيه العديد من المساجد والمباني التاريخية العريقة، وتصطف على جانبيه المحلات التجارية من كل نوع وصنف و..."

قاطعها زيان وقد شعر أن رأسه يكاد ينفجر:
"لديكِ الكثير من المعلومات!"

"إنها دودة كتب." علّقت جوليا.

"آه!" صاح زيان.

التفت إليه الباقون ليتفقدوه، فرأوه جالسًا على الأرض، وأمامه رجل آخر – لقد كان اصطدامًا بالتأكيد.

نهض الرجل بسرعة ليصيح بعصبية:
"أحمق!"

ثم هدأ صوته قليلاً وتمتم:
"مجرد طفل صغير."

ثم غادر بسرعة وانسيابية بين الحشود حتى اختفى.

كانت سارة أول من كسر الصمت، فقالت وهي تحدّق في موضع اختفائه:
"أمثاله يعطون صورة سيئة عنّا."

"لقد أسقط شيئًا... إنها ورقة." لاحظ إيليا

قالت سارة بسرعة، بصوت شبه منفعل:
"لا تفتحوها، هذا ليس من شأننا."

"ماذا؟!" أجابتها جوليا وهي ترفع حاجبًا.

انحنت جوليا بخفة لتلتقط الورقة المطوية، وفتحتها، ثم حدّقت فيها بينما كان الباقون يحدقون بها
"ها ؟"خرجت من جوليا وقد بدت عليها ملامح الاستغراب.

" ماذا هناك ؟" قال زيان بعصبية .

" لا شيء " ردّت جوليا بهدوء

" لا شيء ؟ " استفهم زيان وقد فهم أنّها تخفي أمر الكتابة لنفسها .

فهمت جوليا سوء الفهم فوضّحت :" لا شيء حقّاً ؛ الورقة فارغة ... انظروا "
ما إن أرتهم جوليا الورقة حتى علت على وجوه الأصدقاء ملامح الاستغراب والخيبة ..

عمّ صمت لبضع لحظات لتقول جوليا وقد رفعت حاجباً :" يبدو أن عصير الليمون قد فسد يا تاليا "

استغربت تاليا وقد ألقت نظرة على إحدى الأكياس
" ليس هناك ما هو فاسد يا جوليا "

" أنا واثقة من حاسّة شمي ؛ تأكدي " علّقت باقتضاب .

فجأة علت على وجه إيليا ملامح دهشةٍ ؛ كما لو أنّ فكرة مجنونة قد خطرت على رأسه فقال بانفعال منضبط :" لنعد إلى البيت "

" لا أريد ؛ إن كنت قد تعبت فعد لوحدك ؛ المتعة لم تبدأ بعد !"
احتجّت جوليا

" ليس هذا ؛ قد خطرت على بالي فكرة بشأن الورقة وأريد التأكد منها " أوضح زيان وقد التفّ بعجلة يريد العودة ؛ فلم يجد الأصدقاء بُدّاً من مسايرته .

بينما كانوا يسيرون نحو البيت الذي لم يكن يبعد كثيرا عن النقطة التي اصطدموا فيها بالرجل علّقت تاليا :" ألم تلاحظوا ؟'

" نلاحظ ماذا" استفسرت سارة

قالت تاليا بشيء من الجديّة :" الارتباك والتوتر على وجه الرجل "

ردّت جوليا :" ربما كان مستعجلاً "

" اعتقد أنني سأنفعل مثله لو تفاجأت بصدمة من شخص ما ووجدت نفسي على الأرض " علّق زيان

تمتمت تاليا بعدم اقتناع:" لكن ما زال ...."

وصل الأصدقاء إلى المنزل ؛ لم تكن السيدة سوسن موجودة ؛ وجّه إيليا طلبه إلى تاليا :" اجلبي المكواة "

علّقت جوليا وقد نظرت لإيليا بغضب ؛ فهو قد أفسد نزهتهم :" لمَ المكواة ؟ "

تجاهل إيليا سؤال جوليا ليعيد طلبه وهو ينظر إلى تاليا :" اجلبيها ؛ رجاءً "

ذهبت تاليا لإحضار المكواة بينما دخل الباقون إلى غرفة الجلوس؛ وضع إيليا الورقة على الطاولة وجلس ينتظر.

"آمل أن يكون هناك مبرر لكلّ هذا"، علّقت جوليا على الوضع بنبرة مشحونة.

"أنتِ سبب ما حصل يا جوليا"، ردّ إيليا ببرود.

"هل تنوي إلقاء اللوم عليّ؟ وكيف ذلك؟" ردّت جوليا باستغرابٍ غاضب، وقد وضعت إحدى يديها على خصرها.

"لنرى؛ لا أودّ أن أقول أشياء لست متأكّدًا منها"، ردّ إيليا بنفس نبرة البرود.

"آمل أن ينجلي هذا الغموض لأنني لم أعد أفهم شيئًا"، تمتم زيان.

"آها"، قالت سارة وقد لمعت عيناها ببريق التقاط فكرة نقّبت عنها كثيرًا.

"آمل أيضًا أن تنتهي الهمهمات والآهات لهذا اليوم"، تمتم زيان بارتباك.

"هاهي المكواة"، قالت تاليا بينما وضعت المكواة على الطاولة بحذر؛ إنّها مكواة ثمينة بالنسبة لأمّها... وربما بالنسبة لباقي الأمهات ليس الاختلاف كبيرًا.

التقط إيليا المكواة وقام بتوصيلها بالكهرباء، وانتظرها لتسخن قليلاً وسط العيون المترقّبة لكل لحظة.

مرّر إيليا المكواة على الورقة بخفّةٍ وقوةٍ مدروسة، وبعد دقيقةٍ ابتسم ابتسامةً منتصرة مفعمة بالفخر وقال وهو يضع المكواة جانبًا: "كما توقّعت."

...

مرّر إيليا المكواة على الورقة بخفّة وقوّةٍ مدروسة، وبعد دقيقةٍ ابتسم ابتسامةً منتصرةً مفعمةً بالفخر، وقال وهو يضع المكواة جانبًا: "كما توقّعت."

رفعت جوليا حاجبًا وقالت بنصف تهكّمٍ ونصف فضول: "أنِرنا، أستاذ إيليا."

رفع إيليا الورقة ببطءٍ استفزّ الحاضرين، ثمّ مدّ يديه عارضًا وجه الورقة لهم، ونظر إليهم من وراء الورقة وقال: "انظروا، الكتابة باللون البنّي."

"حبرٌ بنّي سحري؟" تساءلت جوليا باستغراب.

أطلق إيليا وسارة ضحكاتٍ مفاجئة، بينما نظر زيان وتاليا بعدم فهمٍ لما يحدث.

غضبت جوليا وقالت بانفعال: "لِمَ الضحك؟"

"ليس حبرًا، ربما هو نوعٌ من التفاعل الكيميائي." أعقبت تاليا وهي شاردة في الورقة.

"أنتِ محقّة! إنّه يشبه الاحتراق!" قال زيان وكأنّ مصباحًا أضاء فوق رأسه.

قال إيليا بفخر: "لهذا طلبتُ المكواة."

"إنّه أسلوبٌ للكتابة السريّة؛ حيث يقوم الكاتب بكتابة شيءٍ ما بوساطة عصير الليمون، ثمّ يتركه ليجفّ، وبعدها يقوم المتلقّي بتسخين الورقة لتظهر الكتابة." أوضحت سارة.

"وكيف عرفتَ أنّه كُتِب بوساطة الليمون؟" سألت جوليا باهتمام.

"لذا أخبرتكِ أنّكِ سببُ ما حصل؛ ألستِ أنتِ من اشتمَّ رائحة الليمون، وظننتِها من فساد العصير لدينا؟" أجاب إيليا وما زالت الابتسامة الفخورة عالقةً على وجهه.

"أقنعتني." تمتمت جوليا وهي تسترجع ما حدث.

"على كلّ حال، هناك طرقٌ أخرى للكتابة بالحبر السريّ، باستخدام موادّ كيميائيّة يصعب الحصول عليها كالليمون، تتفاعل مع موادّ أخرى فتتّضح الكتابة. ربما من حسن أو سوء حظّنا أنّ الكتابة كانت بالليمون."

"بما أنّ الرسالة مُشفَّرة بالإخفاء السرّي، فربما تكون خطيرة..." أضافت سارة.

ثمّ أخذت الورقة لتقرأها، فتوسّعت عيناها بعد لحظات، وقالت بصوتٍ هادئ بالكاد يُسمَع: "أوه... هذا خطير!"

"ليس عدلاً، اقرئيها بصوتٍ عالٍ!" احتجّ زيان.

"أوه، آسفة... ها هي ذي:

«لنتفاهم؛ إنّ ابنك معي. لن تراه ثانيةً إذا أبلغتَ الشرطة. تعال لتقابلني غداً في الحديقة العامة، الساعة L.»

"ما معنى هذا؟" سألت جوليا وقد أحسّت بخطر المجهول.

قالت تاليا فجأة بصوتٍ منفعل: "هذه مشكلة! سارة، أعيريني ورقة وقُصّيها بنفس حجم وشكل هذه. جوليا، من فضلك، عصير ليمون وعود تنظيف الأذن."

نفّذت الاثنتان ما طُلِب منهما. نظر زيان بنصف فهم ثم سأل:
"إن كنتِ تشكّين بعودة الرجل إلى موقع الارتطام من أجل الورقة، ألا يكفي أن نعيد الورقة لمكانها؟"

"الورقة احترقت ولن تعود بيضاء كما كانت، وسيعرف أن هناك من قرأها." ردّ إيليا.

"صحيح، صحيح، هذا بديهي. أعتقد أن ارتباكي أثّر على تفكيري." قال زيان.

عادت سارة وجوليا، ووضعتا الأغراض على الطاولة. تناولت تاليا عود الأذن، غمسته برفق في عصير الليمون، وبدأت تكتب بخطٍ مشابه على الورقة الجديدة بتركيزٍ عالٍ؛ فهي لا تريد أن تُغرق الورقة بالليمون أكثر من اللازم.

"عملٌ جيد"، علّق إيليا، ثم أردف: "سنذهب أنا وزيان لإعادة الورقة إلى موضع الاصطدام، وأرجو أن نسبقه."

ثم غادر الاثنان على عجل.

لقد حدث كل شيء بسرعة؛ لا أصدق أننا داخل هذا اللغز الغريب... أهذا يعني أننا لن نكمل النزهة؟" قالت تاليا بتململ.

رمقتها سارة بنظرة استغراب؛ فقد استهلك الجميع قدراً كبيراً من الطاقة ما بين المشي في السوق حتى إيابهم السريع إلى المنزل، بالإضافة إلى التوتر النفسي والنشاط الذهني المستمرّ. فكيف ما زالت هذه الفتاة لديها القدرة أو حتى الرغبة في إكمال النزهة؟ لكنها لم تعلّق، لأنّ أمر "اللغز" ما زال يثيرها.

أمسكت تاليا الورقة القديمة ذات الكتابة البنية، قرأتها داخلياً مراراً وتكراراً، ثم قالت:
"إنه يصف الزمان والمكان... الحديقة العامة، وغداً الساعة L."

علّقت جوليا بصوت مشحون بالسخرية:
"الحديقة العامة وفهمناها، غداً وفهمناها، لكن الساعة L؟ أيّ نوع من نظام الساعات هذا؟"

حدّقت تاليا في الساعة وشردت بها، بينما قالت سارة وهي تؤنّب جوليا:
"لا يوجد نظام ساعات كهذا يا جوليا."

"أفضّل التفكير في شبح ليمون دكّان جارنا على التفكير بهذا اللغز الغريب!" اشتكت جوليا.

"تقصدين الخبر الذي قصصتِه عليّ البارحة؟" استفسرت سارة.

جوليا: "أجل، عندما عدنا منذ قليل، أتذكر السيد حسن وهو يتكلم مع صلاح ويشير نحو الليمون. أعتقد أنه ما زال يعاني من اختفاء الليمون."

سكتت جوليا، ثم وقفت فجأة لتقول بحماس وخطورة:
"أعتقد أنه انتقام ليموني! لقد عاملنا الليمون معاملة سيئة، فحلّت على البشرية لعنة الليمون، وجاء السيد شبح ليمون لينتقم!"

"ما هذا التخريف؟" علّقت سارة بضجر.

"فكّري في الأمر؛ أولاً السيد حسن، والآن نحن مع هذه الورقة الغريبة وعصير الليمون."

"توقّفي رجاءً."

"الأمر يستحق التفكير!"

"لا."

دُقّ الباب، فأسرعت جوليا لفتحه، وإذ بهما إيليا وزيان، وعليهما آثار التعب. دخلا إلى غرفة الجلوس.

علّق زيان وهو يمسح قطرة عرق من جبينه وما زال يلهث بوضوح ظاهر:
"أظن أن الأمور بخير."

جلس إيليا بعدما سكب لنفسه كأس ماء من الإبريق وقال بجديّة:
"حسناً، لنلخّص ما حدث:
من الواضح أن في الموضوع مختطِفاً، وهو الذي كتب الرسالة بالحبر السرّي (الليمون) ليتأكد ألا يقرأها أحد — وبالطبع قد خاب ظنه وقرأناها — والمهم أننا أعدنا الرسالة إلى حيث يجب أن تكون كي تسير الأمور كما توقّعها المختطِف. وغداً سنذهب مع الرقيب رامي لنقبض بالجرم المشهود على الخاطف وننقذ المخطوف."

"يبدو هذا سهلاً عندما تقولها!" علّق زيان بنبرة لم يستطع إخفاء الارتباك فيها.

"كما توقّعنا، لقد عاد ليأخذ الورقة من موضع الارتطام. ما دمنا حكماء وحذرين فسيسير كل شيء على ما يرام." ردّ إيليا بجدية قلّما يتحدث بها.

"لكننا لا نعرف متى سيكون في الحديقة العامة غداً." علّقت جوليا بجدية.

"سنخبر الرقيب بما نعرف، وربما يجعل بعض العناصر يداومون على المراقبة طيلة الغد." أجاب إيليا.

وأخيراً، رفعت تاليا عينيها عن الساعة على الجدار لتوجّههما إلى الورقة، وقالت بهدوء:
"لديّ تخمين بشأن الساعة L."

جذبت الجملة الأخيرة انتباه الحاضرين، فحوّلوا عيونهم باتجاه تاليا التي أشارت بيدها إلى ساعة الحائط وقالت:
"هناك عقربان، واحد طويل والآخر قصير... حرف L يشبه الشكل الذي تتخذه عقارب الساعة عندما تصبح الساعة الثالثة."

ذُهل الأصدقاء من الاستنتاج البسيط والصعب في الوقت نفسه.

"أجل، هذا منطقي." قالت سارة بإعجاب.

"أحسنتِ يا تاليا، من الجيد أن نعرف أنكن كنتن تفكّرن بينما كنا نركض ونلهث." علّق إيليا وهو يشرب آخر رشفة من كوب الماء.

"ليس كلنا، كان هناك من يختلق الأساطير ويهلوس." رمقت سارة جوليا بنظرات ساخرة.

تجاهلت جوليا نظرات سارة لتسأل:
"الثالثة ظهراً أم صباحاً؟"

نظر الجميع إلى جوليا بنظرات لا تُفسّر، فقالت وهي تحكّ رأسها:
"اعتبروني أمزح."

"من الأفضل الاتصال بالرقيب رامي في أقرب فرصة"، اقترحت سارة.

"سأتصل به." نهض إيليا وسار باتجاه الهاتف ليحاول الاتصال بمكان عمل الرقيب.

عادت الأم التي كانت قد خرجت سريعًا إلى الدرج بعد أن ألقت التحية عليهم. في أعماقها، كانت تظن أن المكوث في الطابق الثالث هو نوع من جلد الذات؛ كان عليهم أن يحتفظوا لأنفسهم بالطابق الأرضي ويؤجّروا الطوابق العليا... لكن ذلك لم يكن عمليًا من نواحٍ أخرى.

رجع إيليا إلى الأصدقاء وقد علت وجهه ملامح خيبةٍ طفيفة.
جلس ثم قال: "قيل لي إنه ليس موجودًا. أين يكون حين يحتاجه الناس؟ أشكّ أن شرطيًا آخر سيصدقنا أو يعاملنا بجدية؛ الرقيب رامي هو الوحيد الذي نعرفه ويعرفنا."

"ليذهب كلٌّ منا إلى غرفته ليبدّل ملابسه ويرتاح قليلًا"، اقترحت سارة وقد نهضت واستقامت.

"إنها الفكرة الأفضل"، قال زيان، وكان أول المستجيبين.

بعد نحو نصف ساعة من لجوء كل شخص إلى غرفته طلبًا للراحة، عادت السيدة سوسن، التي كانت متفاجئة من وجودهم في البيت؛ فقد أخبروها أنهم ينوون قضاء النهار بأكمله في الخارج.

نوت أن تصعد إلى طابقها، لكن قبل أن تصعد الدرج الثاني المؤدي إلى الطابق الثالث، انعطفت إلى غرفة ابنتها تاليا. دقّت الباب، ثم دخلت لترى تاليا تقرأ في كتاب.

"هل أنتِ سعيدة يا ابنتي؟" سألت الأم بصوتٍ فيه شيء من الحنان.

صُدمت تاليا من سؤال أمها المفاجئ، فقالت وهي تضع الكتاب جانبًا: "أيّ سؤال هذا يا أمي؟"

دخلت السيدة سوسن وجلست على طرف الفراش، ثم حدّقت قليلًا بالكتب المصطفة على الرفوف الخشبية العتيقة، والأقلام المترامية على الطاولة؛ وكأن من كان يكتب كان يخوض حربًا - ضد نفسه، بين بنات أفكاره، وبين ثنايا شخصياته.

قالت الأم بنصف إيضاح لا يغني شيئًا: "البارحة كان يومك الأول في الكلية."

"أجل، وأنا أشكر الله على هذه النعمة." ابتسمت تاليا.

شردت السيدة سوسن في اللوحات الفنية المرسومة بيد ابنتها في مراحل عمرية مختلفة؛ الموهبة كانت ظاهرة، لكن الأحاسيس والروح التي كانت تنبض في اللوحات كانت أكثر من مجرد ظاهرة.

فتحت السيدة سوسن فمها لتقول شيئًا، لكنها ابتلعت الكلام فجأة. ثم نهضت وقد عاد صوتها إلى نبرته المعتادة، وقالت وهي تسير قاصدةً الخروج: "العشاء في الثامنة، لا تتأخروا."

رفعت تاليا حاجبها وهي تعيد كتابها إلى حضنها: "حسنًا، يا أمي."

حلّ وقت العشاء، ولم تنسَ تاليا أن تنادي الأصدقاء إلى المائدة.
بحلول الساعة الثامنة وبضع دقائق، كان الجميع متحلّقين حول الطاولة، بمن فيهم والدا تاليا.

جلس الأب مستقيمًا عند أحد طرفي الطاولة المستطيلة، بينما جلست السيدة سوسن في الجهة المقابلة.
نظر نحو زيان بابتسامة ترحيبية كان من المفترض أن يبتسمها له البارحة، وقال:
"أعتقد أنّها المرة الأولى التي نلتقي فيها، عدا تلك اللمحات البسيطة. الآن أستطيع أن أتعرف عليك يا بُني، أهلًا بك."

"على الرحب والسعة"، قالها زيان بارتباك، متمنّيًا لو تنشقّ الأرض وتبتلعه.
على الرحب والسعة؟! أي إجابةٍ بلهاء هذه؟ وأمام السيد الذي استأجروا في بيته أيضًا!

عمّ صمتٌ مشحون على الطاولة، وكتم معظم الحضور ضحكةً مفعمة بالطاقة بشقّ الأنفس، لكنهم لم يشاؤوا إحراج صاحبهم أكثر.

"أقصد... أنني كطبيبٍ مستقبلي أودّ علاجك مجانًا! وعلى الرحب والسعة سلفًا!"
قالها زيان ببلاهة، محاولًا إنقاذ الموقف، لكن عقله لم يعد يعمل أصلًا.

"أنت في السنة الأولى، صحيح؟" سأل الأب بلطف.

"أ.. أجل." أجاب بارتباك.

"جيد، هذا يجعلك في عمر ابنتي. جميع من هنا أكبر منها."

"أجل، لقد أتممت عامي الثامن عشر منذ بضعة أسابيع."
قال زيان وهو يمسح قطرة عرق شعر بها على جبينه؛ كان يشعر وكأنه في اختبارٍ شفهي. هل يبالغ؟ ربما. لكنه ببساطة لا يستطيع منع نفسه.

"بالعمر الطويل يا بُني."
سكت الأب قليلًا ثم أضاف: "أنا متعب، سأصعد للنوم. أرجو لكم أمسية لطيفة."

خرج الأب، وتبعته السيدة سوسن.

"هل تتذكرون شكل وجه الرجل الذي ارتطم زيان به؟" سألت جوليا وهي تضع الملعقة على صحنها الفارغ حديثًا.

"لا أعتقد أنني أتذكر." تأسّفت تاليا.

"أذكر أنه كان يشبه الفأر قليلًا." قال زيان وهو يجفف جبينه بمنديل.

"لنذهب للنوم، نحن بحاجة لأكبر قدر من الطاقة والتركيز غدًا."

إذن... المهمة المنتظرة غدًا.

•••

تحلّق المغامرون حول مائدة الإفطار ؛ انتظروا حتى نهض سيدا البيت حتى يقوموا باجتماعهم السري وهم يحتسون بعضاً من الشاي .

" إنّها الآن الساعة العاشرة والنصف صباحاً سوف نقوم بوضع خطة حتى نتجهّز جيداً " اقترح إيليا وهو يرتشف من كأس الشاي الصغير المزخرف بزخارف نباتيّة ذهبيّة في أطرافه

" فكرة جيدة " علّقت سارة .

إيليا :" حسناً ؛ إذن سارة ؛ أنت ستقومين بالذهاب إلى مركز الشرطة لتبحثي عن الرقيب رامي ؛ لابدّ أن يكون حاضراً .. أنه أساسي "

" فهمت " أجابت سارة بهدوء .

" إذن والآن .. تاليا ؛ أنت سوف تبقين في المنزل لتكون حلقة اتصال ووصل ؛ لتنقلي لنا أخبار بعضنا كي نضمن أننا نسير في اتجاه الهدف وفي تناغم ؛ مثلاً سارة تتصل بك من مركز الشرطة أو هاتف من الشارع لتعلمك ما حدث معها ونحن نفعل نفس الشيء وتخبريها وتخبرينا بما يحدث مع بعضنا ؛ آمل أن يكون شرحاً جيداً " قال إيليا

" ماذا ! " احتجّت جوليا بعدما قطعت رشفة من الشاي كانت ترتشفها

" الوضع لا يحتمل الاحتجاجات " ردّ إيليا ببرود .

وأنت جوليا ؛ سوف تأخذين كاميرتك وتصّورين ما يحدث ؛ أي مشهد الخاطف مع أب الولد المخطوف ؛ سيكون جيد جداً لو حصلنا على دليل ملموس ؛ لكن لا تكوني بارزة ! إيّاك "

" تمام " علّقت جوليا وهي تفكّر ؛ قد لا تشارك بالفيلم لكن أن يكون لها فرصة بمشاهدة ما يحدث أفضل من وضع سارة .. وأفضل بكثير من وضع تاليا .

" أنا وزيان سوف نترقب الموقف عن قريب ؛ ونكون جاهزين للتدخّل قبل وصول الرقيب في حال استدعى الأمر لذلك " قال إيليا بجديّة كما لو كان يعلن عن قرار في حرب ما .

" حقاً " ارتبك زيان

" إذا كنت سترتبك فأفضل أن أكون وحدي " قالها إيليا وقد وضع كأس الشاي على المنضدة بقوة أكبر قليلاً عن المعتاد

" لا ؛ نحن لا نخوض حرباً على أية حال ؛ كما أنّه ما زال لدينا بعض الوقت للاستعداد ؛ سوف أذهب لغرفتي وأقوم بتهدئتي وتهيئتي نفسياً عبر تمارين اليوغا ؛ هل أخبركم بفوائد اليوغا حسب الطب ؟" قال زيان بنفس واحد .

تجاهل الجميع اقتراح زيان الأخير ونهضوا إلى غرفهم ليستعدّوا ؛ إلا تاليا التي نهضت لترتيب طاولة الإفطار وتحضير بعض الحلويات التي ستتناولها وهي تجلس بجانب الهاتف .

هي الآن الساعة الثانية والنصف ظهراً ؛ وحان الوقت ليأخذ كل مغامر موقعه المفترض .

" رافقتم السلامة " قالتها تاليا تملأ كأساً من عصير الليمون المثلّج .

قبل أن تجلس ؛ ذهبت لتطل على النافذة في الطابق الثاني ؛ فقد نست أن تسقى نبتة وضعتها هناك هذا الصباح ؛ من الطبيعي أن تنسى فقد ظلموها عندما لم يفسحوا لها مجال جيد في هذه المغامرة .
"أوه إنه السيد حسن .... إنه يتكلم مع صالح .. أوه صالح يرحل ؛ ليس من عادة صالح أن يأخذ إجازات ساعيّة ويقتطع وقت العمل لذا لابدّ أن أمراً طارئاً قد حصل " فكّرت تاليا .

هبطت من السلالم لتأخذ موضعها ؛ يجب أن ترد بسرعة قصوى على اتصالاتهم وتريهم أنها أفضل سكرتيرة يمكن أن يعتمدوا عليها .

وبعد عشر دقائق ؛ وصل الاتصال الأول

...

وَصَلَ إلى تاليا الاتّصال، وقبل أن يحاول عقلها حتى تخمين هوية المتّصل، رفعتْ سمّاعة الهاتف بسرعة وخفّة.

"هنا تاليا"، أجابت وكأنها في مهمة رسميّة، تأمل ألا يكون أحدٌ آخر غير شركائها؛ فسيكون ردّها غريبًا على من سواهم.

"أهلًا، تاليا، هل آتاكِ اتصال من سارة؟" قال زيان بصوتٍ فيه رجفةٌ خفيفة.

"لا، ما الأخبار عندكم؟" سألت تاليا بجدية، وهي تتناول قطعة شوكولاتة من العلبة الحمراء محظورة الفتح إلا في المناسبات. لا أحد سيراها على كل حال... لا أحد.

"ها؟" قالها زيان بارتباك.
بلع ريقه ثم أكمل: "من المفترض أن تنقل لنا خبر وصولها إلى الرقيب. لقد مرّ وقتٌ كافٍ، وبقيت سبع دقائق فقط حتى الساعة الثالثة تمامًا."

"لا تقلق، جوليا ستساعدك بإحدى حركات الكاراتيه." قالت تاليا بهدوء وهي تسكب مقدار نصف كأس من عصير الليمون.

"هذا ليس وقت المزاح! إنّ الوضع مقلق و..." اشتكى زيان.

"حسنًا، إذن أغلِق الخطّ كي لا تجد سارة الخطّ مشغولًا حين تحاول الاتصال." أملَت عليه تاليا.

أغلقت تاليا السماعة بعدما سبقها زيان لذلك.

هل يُعقل ألّا يكون الرقيب في عمله اليوم؟ أو في هذه الظهيرة؟ هل هي إجازةٌ ما؟ أم أنه في مهمةٍ في مكانٍ آخر؟
لم توافق تاليا على جعل محور خطتهم يدور حول وجود الرقيب رامي أو غيابه، لكنها أصبحت مطمئنة بعدما طلب إيليا من جوليا أن تصوّر ما يحدث؛ فذلك سيكون دليلًا كافيًا لإثارة اهتمام مركز الشرطة حتى دون وجود من يعرفهم.

قطع تفكيرَ تاليا صوتُ الباب.

"هل هي أمي؟" تساءلت تاليا بعدما أخفت علبة الشوكولاتة.

نهضت لتفتح الباب، لتجد أمامها السيد حسن.

جال إيليا بنظره حول الحديقة الواسعة ؛ هم لا يعرفون أين تحديداً سيتم اللقاء ؛ لذا هو قسّموا الحديقة لثلاثة أقسام ؛ جوليا تجلس على مقعد في الثلث الثاني ؛ في المنتصف ، تصع كاميرتها وراء جريدة تدّعي قراءتها ، أينما جرت الواقعة فهي ستكون قريبة بما يكفي لتسجيل ما يحصل بسرعة معقولة .

أما إيليا وزيان فهما في طرفي الحديقة ؛ كان زيان عند المدخل ؛ قريباً من أحد الهواتف للتواصل مع تاليا ويحدُّق في وجوه الداخلين ليتعرّف وجه المختطف

ماذا لو كان الجاني متنكراً ؟
ماذا لو يأتِ الرقيب رامي ؟
ماذا لو تعطّلت الكاميرا ؟
ماذا لو أصيبوا بجروح سيئة ؟

جالت هذه الأفكار وأكثر في عقل زيان مثل الدوامة ؛ ازداد توتراً ؛ لكن بالمقابل ازداد جسده حساسية وتأهباً ؛ شعر لوهلة أنه يستطيع استشعار اخف نسمات الرياح على بشرته .

إنها الآن الثالثة تماماً . كانت جوليا متململة ؛ فهي لا تستطيع أن تراقب بفعالية بينما تتظاهر بقراءة الجريدة ؛ تمنّت لو أنّ دورها حركي أكثر ؛ فهذا الجلوس على المقعد الخشبي بدون فعل شيء يثير حنقها .

أما إيليا فقد أدان نفسه عندما خطرت برأسه فكرة كان يجب أن تخطر على باله سابقاً ؛ كان يجب أن يتفقوا على إشارة ما بينهم للتواصل .

ضاقت حدقتا زيان وهو يرى الوجه المنتظر يدخل الحديقة .

" وصل الساعة الثالثة ودقيقتين " علق زيان بارتباك وهو يواصل تتبعه بعينيه .

لكن إلى أين يتجه ؛ لقد قطع الرجل ذو الوجه الشبيه بالفأر كما يزعم زيان الثلث الأول ؛ بينما واصل زيان تتبعه بعينيه كان قد مشى ببطء مدروس باتجاه جوليا :" هل تسمحين لي بالجلوس يا آنسة "
سأل زيان جوليا كما لو كان غريباً .

" ماذا حدث ؟ لمَ تركت موقعك ؟ " سألت جوليا بارتباك

" إنه هو ؛ أقصد لقد وصل الرجل المشبوه ؛ هو ذلك الذي يرتدي قميصاً أخضر " قال زيان بهدوء وحرص على السريّة .

" يبدو أنّه يتّجه إلى خلف مبنى الحمامات في الزاوية ؛ إن كانت المقابلة هناك فبالتأكيد لن أستطيع تصويره بسرية " علّقت جوليا

ضرب زيان كفّه على جبهته وقال :" كيف لم نضع هذه الاحتمالية وهو مجرم ؛ بالتأكيد سيفكر أنه من الاولى ألا يحادث والد الطفل أمام العامة "

" لقد اختفى وراء المبنى ؛ هيا لننهض ونتجه إلى إيليا " قالت جوليا بانفعال مكتوم .

وصلوا الثلاثة إلى إيليا الذي كان قد أدرك ما حصل فقال بنبرة مشحونة بالغضب والارتباك :" لم يأت الرقيب ؛ ولا يبدو أنه سيأتي "

سمع الأصدقاء صوت صيحة خافتة من وراء مبنى الحمامات فأسرع إيليا وجوليا بلا تردد في التدخل واختفيا من ناظري زيان خلف المبنى .

" لكن ؛ لكن هذا خطير " تمتم زيان بارتباك .

اندفع إيليا وجوليا خلف المبنى ، وهناك رأيا الرجل شبيه الفأر يبتسم لهما من بين الظلال.
اقتربا بحذر، لم يعرفا ما يجب أن يقولاه.

"هل تبحثان عن شيء، أيها الشابان؟" قال الرجل بنبرة متعجرفة.

"أ... أين الطفل؟" تمتمت جوليا بارتباك.

شدّ إيليا على قبضته بعد ما سمع جملة جوليا، همَّ بأن يعتذر وينسحب، لكن الرجل سبقه قائلاً:
"ما تبحثان عنه... خلفكما."

وقبل أن يدركا ما يقصده، هوت لكمة على وجه إيليا، تلتها ركلة خاطفة أصابت جوليا في بطنها، صدّتها بذراعها بشكل جزئي ..

رفع إيليا رأسه متألّمًا، ليجد رجلاً آخر يخرج من خلف الصناديق — هو من ضربه.

"أحسنت يا ساهر." قال الرجل ذو الوجه الفأري بابتسامة خبيثة، يتذوّق طعم الانتصار.

اندفعت جوليا لتردّ، ركلتها كانت قوية وسريعة، لكن ساهر كان معتادًا على العنف.
وبينما حاول تفاديها، انقضّ إيليا ليسدّد ضربة لأسفل ظهره في موضع حرج، إلا أن الرجل الفأر باغته بمنديل مشبع بمخدّر.

"أسرع، لا نريد لفت نظر العامة." قالها بصوت منخفض لكنه حاد.

سقط إيليا فاقدًا وعيه، ثم وجه الرجل ضربة سريعة إلى جوليا التي كانت تحاول الدفاع عن نفسها — قبل أن يغمرها هو الآخر بالظلام.

عندما فتح إيليا عينيه، وجد نفسه في غرفة صغيرة فارغة. شعر بيديه مربوطتين، وحاول أن يستقيم ويجلس بصعوبة. لكن ما فاجأه كان رؤية جوليا وسارة جالستين، تسندان ظهريهما إلى الحائط، وفي إحدى الزوايا ينام ولد صغير؛ ربما هو الطفل المخطوف الذي تحدّثت عنه الرسالة التي أقحمتهم في كل هذا.

"جوليا... لكن لماذا أنتِ أيضًا هنا، سارة؟" علّق إيليا بصوت مبحوح.

قالت سارة بهدوء يوحي بأنها تأقلمت إلى حدٍّ ما مع وضعها:
"أنا هنا قبلكما."

أضافت جوليا بصوت منخفض:
"لقد نمتَ طويلًا."

سأل إيليا:
"كم الساعة؟"

أجابته جوليا:
"ساعتي تحطّمت... تفقد ساعتك."

قال إيليا بعد أن نظر إليها:
"إنها الخامسة."

تساءلت سارة:
"عدم وجود زيان هنا... هل يعني أنهم لم يمسكوا به؟"

تمتم إيليا:
"أرجو ذلك."

ثم أردف باستغراب:
"لكن لماذا أنتِ هنا؟"

قالت سارة:
"لا أدري... كنت أسير باتجاه مركز الشرطة، وفجأة شعرت بشيء على وجهي وفقدت وعيي."

ارتبكت جوليا وقالت والدمع يلمع في عينيها:
"هل يُعقل أنهم كشفوا أمرنا؟ كيف؟ ومن هم أصلًا؟ لا أفهم شيئًا!"

قالت سارة بنبرة جازمة:
"زيان قد شاهد ما يحدث، ينبغي إذن أن يبلغ الشرطة."

علّق إيليا:
"صحيح... لكنه لا يعرف الطريق إلى مركز الشرطة. كما أنني أشكّ في أنه عاد إلى المنزل ولم يتوه."

قالت جوليا محاولةً بثّ بعض الأمل:
"بقي أن نعتمد على تاليا."

قال إيليا بصوت شارد:
"إنها لا تعرف إلا ما خططنا له، أما تطورات الأحداث فلا علم لها بها. ربما تعتقد أننا فزنا وأننا الآن في مركز الشرطة ندلي بأقوالنا."

فجأة، فُتح الباب بعنف، وصاح رجل:
"ادخل يا فأر! لقد جعلته يركض حيًا كاملًا خلفك!"

ثم رموه في الغرفة بعدما كبّلوه.

صاح المغامرون الثلاثة بصدمة:
"زيان!"

بعدما سقط زيان على أرضية الغرفة ؛ أُغلِق الباب بعنف .

أراد الأصدقاء مساعدة صديقهم على الجلوس ؛ لكن أيديهم المكبلة جعلتهم عديمي الفائدة في هذه المهمة ، نجح زيان في القيام بتوازن جيد نسبياً وعلى وجهه آثار التعب ؛ يبدو أنّه ركض كثيراً .

قبل أن ينطق أي أحد نظر زيان إليهم بجديّة وقال بصوت متماسك بالكاد :" لا تقلقوا ؛ كل شيء تحت السيطرة "

" يبدو أنّه فقد عقله " همست جوليا إلى سارة .

" لقد تمنّيت أن تنجح في الهرب ؛ كيف أمسكوا بك ؟" سأل إيليا باستغراب

" أجل ؛ عندما اقتحمتما أنت وجوليا ما وراء المبنى ذهبت للاختباء بين أحد الحشود " أوضح زيان وهو ما يزال يلتقط أنفاسه .

" إذن كيف أمسكوا بك ؟" سأل إيليا وقد زاد استغراباً

" هذا بسبب تاليا " أجاب زيان .

" أخبرتك لقد فقد عقله " همست جوليا لسارة

" الآن الساعة الخامسة ؛ يعني أنهم لم يقبضوا عليك بسرعة ؛ وكما فهمنا يبدو أن أحدهم طاردك كثيراً " علّق إيليا

" فقط هل يمكنكم أن تتركوني أستعيد أنفاسي لأتمكن من رواية لكم ما حصل ؟" قال زيان بعصبية

بعد دقيقتين من الاستراحة ؛ رفع زيان رأسه ونظر إلى كل واحد من الأصدقاء يتفحّصه بنظرة طبيّة وقال وهو يوجّه نظره نحو إيليا :" خدّك منتفخ ؛ لكن لا يبدو أن هناك كسور أو رضوض خطيرة ؛ قدرتك على الكلام تدعم هذا الاحتمال "

" نسأل عن ما حدث معك " ردّ إيليا بفضول وعصبية .

تنفس زيان نفساً عميقاً وبدأ يروي بهدوء كما لو كان يحاول أن يسترجع ذكرياته دون تشويه أو نسيان :

" بدايةً ؛ لقد قفز إيليا وجوليا في وجه الرجل بلا تردد ؛ صوت الصيحة التي كانت مصطنعة على الأغلب كانت حافز لاستفزاز حس الخير و لهفة الإنقاذ عندهما "

" أجل لقد عرفنا هذا " علّقت جوليا بانزعاج .

تابع زيان :
" أنا كنت مرتبكاً ؛ عندما سمعت صوت رجل آخر وأصوات الضربات عرفت أننا في مشكلة أكبر منا نحن الثلاثة ؛ لذا ذهبت لأختبأ بين أحد الحشود ؛ بعد خمس دقائق شاهدت رجلين يحملان صندوقين يخرجان من خلف مبنى الحمامات ؛ خمّنت أنهما المجرمان وأن الصندوقين يحويان جوليا و إيليا ؛ لكن لم أكن متأكداً ؛ لم أعرف ماذا أفعل ؛ هل أصيح وأفضح الرجلان بلا دليل ؟ أو اصمت ؟ لقد دارت في ذهني عدّة أفكار لكن كنت عاجزاً عن تحديد أيها الخاطئة وأيها الصائبة "

" أنا أفهمك " قالت سارة بلطف أحتاجه الموقف .

نظر زيان لسارة بعيون شاكرة ثم تابع :

" عندها قررت الذهاب لإحدى التيليفونات في الشارع وإخبار تاليا بما حصل ؛ لحسن الحظ وجدت قطعة نقود معي "

سكت قليلاً ونظر إلى الوجوه التي بدت مركزة عدا الطفل الذي كان نائما في الزاوية ؛ ثم أكمل :
" ردّت تاليا عليّ فعلاً وأخبرتني أنّها لم تتلقى اتصالاً من سارة كما أوصيناها أن تنقل الأخبار ؛ وأنا بدوري نقلت لها ما حدث معنا "

أخذ زيان نفساً عميقاً آخر :
" أخبرتني أن أرجع إلى باب البيت ".

" إلى باب البيت أو إلى البيت ؟" سألت سارة باستغراب

" إلى باب البيت ؛ هذا ما قالته " ردّ زيان بتعابير وجه لا تفسّر .

سارة :" تابع "

" لقد قالت لي أن الأمور تحت السيطرة ؛ وأن علي أن أثق بها وأنفذ مهمتي الجديدة ؛ عندما وصلت إلى باب البيت فجأة شعرت بشاب يلحق بي ؛ وأنا ركضا بأقصى ما لدي .. استمرت هذه المطاردة طويلاً لكن لم أنجح في الإفلات وها أنا عندكم "

" كلما استمعت لما يحدث أكثر شعرت أني لا أفهم أكثر " تململت جوليا .

ثم ابتسم زيان بشيء من الفخر واستدار وفتح يده وقال :" انظروا ! هذه قطعة زجاج حادة ألتقطتها من إحدى الشوارع .. قد نستطيع فك وثاقنا بها "

التصق ظهر إيليا بظهر زيان وقد حاول الأخير تمزيق رباط إيليا بحرص ودقة لكي لا يتسبب بجرح ليَديّ الآخر .

" أظن أنّه يعمل " علّق زيان بجديّة تظهر تركيزه .

" أنا هنا منذ أكثر من ثلاث ساعات " قالت سارة فجأة ثم قالت :" وأنا أستمع لأصوات الداخلين والخارجين ؛ أرجح أنني ميزت بين ثلاثة أصوات إحداها مألوف .. لست متيقنة ؛ لم أرد الإدلال بمعلومات بنسبة صحة غير مرتفعة ؛ كما أعتقد أن ألم رأسي الذي رافقني منذ أن استيقظت أثّر عليّ "

" أود أن ألقنهم درساً لن ينسوه " قالت جوليا بشيء من العصبية بعد أن خفت آثار المخدر عليها .

ثم أردفت :" أولئك الجبناء ؛ لو لم يغدروا بنا لفزنا ضدّهم بالتأكيد "

" لقد نجحت !" قال زيان بعدما قطع الحبال التي كبّلت يدي إيليا خلف ظهره

وقف إيليا وحرّك جسده الذي كان قد تصلب ثم أخذ قطعة الزجاج وبدأ بقطع وثاق زيان وهو يقول :" لا يجب أن نكون سلبيين ؛ ها نحن أمام فرصة أخرى ؛ يجب أن نقوم بوضع خطة ما لنخرج من هذا المأزق "

" ألم رأسي يمنعني من التفكير " علّقت جوليا ثم تابعت :" الوغد سبب لي عدة كدمات ؛ سألحق به ولو ذهب إلى المريخ لأرد له كل ضرباته "

" فلننجح في الخروج من هذه الغرفة أحياء ومن ثم نفكر بالمريخ " علقت سارة ..

" وأخيراً انقطعت " علّق إيليا الذي نهض ليتّجه إلى جوليا ويفكّ وثاقها .

بعد مضي دقائق تم فك وثاق جميع الأصدقاء .

اقترب إيليا من باب الغرفة ليتفقّده بنوايا معيّنة

أما جوليا فقد كانت تقوم ببعض التمارين البسيطة لفك تصلب عضلاتها وتنشيط دورتها الدموية

" من الجيد أن حقيبة الإسعافات الأولية معك " قال زيان وهو يضمّد يد سارة التي خُدِشت بالزجاجة أثناء فك قيدها .

" من الجيد أن تكون هنا معنا .. لا أقصد أنني تمنيت لك أن تُجر إلى هذا الوضع !"

قهقه زيان ثم قال :" أفهم "

سكتت سارة قليلاً وكأنها تفكر بشيء ثم قالت :" أعرف أنك تشعر أحياناً بأن الطب هو من رغب بك وليس أنت من رغبت به .. أعرف أنك قد تشك أحياناً بأنك مرتبط بشيء لم تختره ؛ أعرف احيانا بأنك تشعر أنك مرهون بيد درجاتك ، لكن أود أن أقول بأنك أعظم ضحية ارتباط قسري على الإطلاق ، إنك تمتلك روح طبيب يا زيان ؛ ليس عبر الدرجات بل باليد التي تشفي الناس برفق ومهارة "

سكت زيان ؛ لقد تظاهر بأن مركّز في عمله ؛ لكن لا يعرف أحد كيف كان يفكر تجاه ما قالته سارة .

" هذا عظيم " تمتم إيليا الذي كان يتفقد ثقب المفتاح ثم أردف :" المفتاح في القفل !"

" المفتاح في الثقب من الخارج وليس من الداخل " ردّت جوليا بتهكم .

" ولهذا الحيل موجودة " علّق زيان بابتسامة

ثم سأل إيليا :" هل لدى أحدكم قطعة قماش ؟"

" هل قطعة شاش جيدة ؟ " سأل زيان

" أكثر من جيدة " أجاب إيليا

أخذ إيليا تلك القطعة وألتقط قطعة الزجاج ؛ قبل أن يقوم بأي شيء رفع من شدة حواسه وتركيزه ليستشعر وجود أي شخص في الممر ؛ بعدها مرر بمهارة قطعة الشاش من أسفل الباب ووجّه الجزء الرفيع من قطعة الزجاج عبر ثقب المفتاح ؛ وقد نجح بصعوبة لم تكن لتكون موجودة لو أنه أمتلك أداة رفيعة مناسبة .

بعدما سقط المفتاح على قطعة الشاش ، سحبها إيليا برفق ؛ ثم مد يده من تحت الباب ليجذب المفتاح العالق تحته .

" سيداتي سادتي ، ها هو المفتاح " أعلن إيليا بفخر .

وقفت الجميع باستعداد ؛ فتح إيليا الباب ببطء ومدّ رأسه فوجد الممر فارغ ؛ مشى قليلاً ليتفقد الغرف وإذ برجل الفأر يصيح :" ساهر ؛ لقد خرج الفئران "

خرج ساهر من غرفة أخرى وهو يقول ببرود :" يشتاقون للمزيد من الضربات "

حاصر الرجل الفأر وساهر الأصدقاء أمام باب الغرفة في الممر ؛ كانوا محاصرين في المنتصف ؛ بدأ ساهر يقلّص المسافة بالسير إلى المغامرين و لكن في المقابل وقفت جوليا أمام سارة وزيان ؛ بدأ الرجل الفأر بفعل المثل حيث حاول أن يقلص المسافة من جهته أيضا ؛ إلى أن ركض إيليا وهو يوجه لكمة لها ؛ ضحك الرجل الفأر وصدها بسهولة لكنه فجأة شعر بألم في فخذه ؛ كان إيليا قد غرس قطعة الزجاج فيها .
اللكمة كانت للتمويه !
صرخ الرجل الفأر بقوة
وقد كانت رد فعل في لكم إيليا الذي وقع على الأرض ؛ لكنه انتصر في شل الرجل وتقييد حركته .

بالجهة الأخرى كانت جوليا تقارع ساهر وكان زيان يلكمه حيث يغفل عنه .. مما يجعل تركيزه موزّعاً ؛ ومما جعل تقنيات جوليا فعالة حيث تستهدف النقاط غير المحمية .

لكن الامور اختلفت حين أمسك الرجل بعصا حديدية كانت معلقة في أعلى الجدار وهددهم بها وقد أصاب يد جوليا بالفعل حيث كان تصد بها وجهها .

وأصاب ساق زيان الذي لم يعد قادراً على المناورة .

وبينما كانت الأمور تزداد سوءاً بالنسبة للأصدقاء سمعوا فجأة صوت نباح من خلف باب الشقة ؛ وبعد لحظات صوت يصيح :" أفتحوا الباب ! نحن الشرطة "

...

بعد لحظات اشتدّ نباح الكلب استجابةً لروائح دم قوية ؛ فكُسِر الباب واقتحمت عناصر الشرطة المكان ؛ يتقدمهم الرقيب رامي .

" أرفعوا أيديكم " صاح الرقيب رامي

كان الرجل الفأر عاجزاً عن الحراك بفعاليّة مما دفعه للطاعة ورفع يديه ؛ أما ساهر فقد حاول جذب سارة لتكون رهينة يهددهم بها ؛ لكن جوليا أمسكت بكل من زيان وسارة واندفعت للخلف معهم ليبتعدوا عنه.

أما مسدسات الشرطة ؛ فلم يجد ساهر بدّاً من الاستسلام أمامها .

كبّل رجال الشرطة أيدي المجرمين بالأصفاد وبعدها دخلت تاليا لترى أصدقائها قائلة للرقيب :" لقد زال الخطر ؛ لا بأس أن أدخل"

نظرت تاليا إلى أصدقائها لتقول :" حالتكم بائسة"

" وتزداد بؤساً عندما أتذكر أننا سنذهب لمركز الشرطة لندلي بأقوالنا بدلاً من الذهاب للبيت " علق زيان

إذن ؛ في مركز الشرطة سيتم رفع الستار عن كل شيء

كانت الساعة السابعة مساءً عندما جلس الأصدقاء في مركز الشرطة ؛ قبالتهم المجرِمَين ينظران إليهم بحنق .
دخل رجل إلى مركز الشرطة وهو شديد التوتر واللهفة ؛ يجول بعينيه يمنى ويسرى ؛عندها تقدّم إليه الرقيب رامي وهو يضع يده على كتف الرجل وهو يقول بحزم :" ابنك أخذناه إلى المستشفى ليحظى بالرعاية الصحية المناسبة جسديّاً ونفسيّاً ؛ لا تقلق يا سيدي هو بخير ؛ لكن من واجبنا أن تتم الأمور بهذه الطريقة وأن نتخّذ كل الاحتياطات "

" أريد زيارته " قال الأب بصوت بالكاد متماسك ويداه ترتجفان .

" بالتأكيد ؛ فقط نحتاج منك أن تتعرف على المجرمين وتدلي ببعض الأقوال " أجابه الرقيب

نظر الأب حوله فوجد رجلين مصفّدي اليدين وقد تعرف على أحدهما .

" هذا من كان يرسل الرسائل وهو من قابلني الساعة الواحدة ظهراً اليوم " قال الأب وهو يشير بيده إلى الرجل الفأر .

" الواحدة ظهراً ؟" تساءل إيليا بصوت مسموع .

" تفضّل سيدي إلى تلك الغرفة " قال له الرقيب رامي وهو يبتسم ابتسامة مُطَمئِنة .

" يبدو أن الثالث لم يصل بعد " قالت تاليا .

" ثالث ؟ علّقت جوليا وهي تبادل سارة نظرات الاستغراب "

" أجل ؛ من أمسك بي لم يكن ساهر ولا الرجل الفأر " قال زيان مؤكّداً وجود الرجل الثالث .

" أنت تعرف ؛ ولكن كيف عرفتِ يا تاليا أنّه شخص مختلف وأنّه ثالث ثلاثة ؟" سأل إيليا وهو يتلمّس خدّه المتورم .

" البارحة عندما عثرنا على الرسالة السرية أثناء النزهة كنا مكشوفين ؛ أعتقد أن الرجل الفأر لاحظ أنه أسقط الرسالة فعاد لموقع الا رتطام وعندما لمح زيان وإيليا يعودان لمكان الحادثة اختبأ ووجدهما يضعان الرسالة على الأرض ؛ فابتعد قليلاً ثم مشى بطبيعيّة ليتظاهر أنه عاد فوجدها ؛ فظننا أننا أوقعنا به ؛ لكن في الحقيقة هو من كان يمسك بالخيوط منذ تلك اللحظة .... طبعاً غيّر الرسالة فجعل موعده مع والد الطفل في الواحدة بدل الثالثة ليجعل الثالثة موعد الإمساك بنا "

ظهرت على وجه إيليا تعابير فهم ؛ إذن هذا سر ما حدث في الحديقة.. يا للبلاهة .

تابعت تاليا :

" قبل الساعة الثالثة بقليل ؛ خرجت سارة رفقة البقية ؛ نظرت أنا من النافذة فوجدت السيد حسن يتكلم مع مساعده صلاح ؛ فهمت أنّه أخذ إجازة من دوامه بما أنّه غادر ؛ انتبهت أنه سار في نفس طريق سارة ـأرجح أنه من اختطفها لاحقاًـ لكنني ظننتها مصادفة في ذلك الوقت .

بعدما سكبت لي عصيراً من الليمون وأنا أتناول الحلويات ... أقصد وأنا أترقب الا تصالات خطرت ببالي خواطر علاقة الورقة السرية بسرقة الليمون وصلاح .. كانت القصة تتبلور بعد كل ملاحظة إضافية .

اختفاء سارة بدون أن تحضر الرقيب ولا أن تتصل دفعني للتشكيك حول اختطافها وبعدما جاءني اتصال زيان وروى لي ما حدث ؛ عرفت عندها أننا كنا مراقبين وخمّنت أن صلاح كان ممن يراقبنا إذا صحّت شكوكي حول تورّطه وكنا نسير في خطة أحدهم ؛ عرفت أنّ الأمر سينتهي باختطافي إذا أنا حاولت الذهاب لمركز الشرطة ؛ ولم أكن أستطيع التبليغ هاتفياً لأنني لم أملك دليل ولا تهمة واضحة ولا موقع محدد لأبلغ إليه .. فقد غادر المشتبهون الحديقة بكل تأكيد ؛ لذا أخبرت زيان أن يأتي إلى باب البيت من أجل أن يشتت المراقب "صلاح" وأنا أغادر إلى مركز الشرطة بينما لا عيون علي ؛ لم أكن متأكدة حول عددهم لذا غادرت من الباب الخلفي وسلكت الأزقة بسرعة وانعطفت الكثير من الانعطافات لكي أشتت أي مراقب إضافي محتمل ؛ وكان معي جاكيت لسارة ؛ وصلت لمركز الشرطة ؛ ولحسن الحظ وجدت الرقيب رامي الذي أخبرته بكل ما حصل وأعطيته جاكيت سارة لكي يستطيع الكلب البوليسي أن يتتبعها .. فوصلنا إليكم .. مع حالتكم المزرية .. وها نحن هنا "

ارتبك السيد حسن وقال " ولكن أنا متأكد أنني كنت أعدّ ثمار الليمون في نهاية اليوم لأرى أنها ناقصة في اليوم التالي صباحاً "

" لأنني كنت أنهب واحدة بينما نحن نملأها في الصندوق أثناء العد أيها الأحمق " قال صلاح بحقد .

" لقد وثقت بك " تمتم السيد حسن الذي لم يستوعب بعد ما يحصل ؛ لا يريد أن يصدق ما يراه ويسمعه .

شردت تاليا قليلاً ثم تابعت : بعدما تلقّيت اتصال زيان الأول ؛ أي ما قبل الساعة الثالثة ببضع دقائق ، دقّ السيد حسن على الباب ؛ لقد قام بتسليمي الأغراض التي طلبتها أمي ؛ وهذا كان غريباً فعادة ما يقوم صلاح بتوصيل الأغراض بينما يبقى السيد حسن في البقالة ؛ أخبرني السيد حسن أن صلاح أصبح كثير الشرود ومنذ قليل طلب منه أن يدعه يذهب لبعض الوقت لقضاء حاجة ضرورية ثم يعود ؛ وهو يتوافق مع ما رأيته من النافذة حيث ظننت أن صلاح أخذ إجازة ساعيّة .. غالباً لم يطلب صلاح إجازة لأنه كان ينوي اختطاف سارة ثم العودة للبقالة كي يستمر بمراقبة منزلنا "

نظرت سارة إلى صلاح باحتقار وسألته :" تتخلى عن جيرانك من أجل ماذا ؟"

" لقد كانت أموال الفدية التي نتلقاها أكثر من كافية " ابتسم صلاح بخبث وعيناه تلمعان بلؤم .

نظر إيليا إلى الرقيب رامي واقترح بجدية :
" أرى أن تقوموا بتحقيق موسّع ؛حقيقة احتياجهم لليمونة كل يوم قد تعني رسالة كل يوم ؛ ربما الأمر أخطر "

الرقيب :" بالفعل شهدنا ارتفاع في حالات اختطاف الأطفال على وجه الخصوص ؛ ربما هم مرتبطين بأكثر من مجموعة ؛ ويكون صلاح بمثابة مكتب البريد السري .. على كل حال سنكشف خلفيتهم في التحقيق ؛ عودوا أنتم إلى المنزل "

" قد نحصل على توبيخ شديد في للبيت " قالت جوليا بقلق .

" أرجو أن تأتي معنا أيها الرقيب لتشرح لوالداي حول بطولتنا ؛ كما المرة السابقة " اقترحت تاليا برجاء

" المرة السابقة ؟" سأل زيان بتعجّب .

" تلك قصة أخرى " أجابت تاليا بابتسامة .

تمت

ذاع في الجرائد خبر عن شبح يقصد إحدى المحلّات الشرقية ليسرق حبة من الليمون كلّ يوم .

فهل يا ترى هي لعنة

أم حيلة ؟

بكل الأحوال هو لغز ينتظر المغامرين

تاليا وجوليا وإيليا وسارة وزيان لكشفه